

الحث على الدعوة إلى الله عز وجل

لا شك أن هذا المخيم، والذي أقيم لأجل دعوة الناس، ولأجل توجيههم؛ أنه إن شاء الله سيثمر ثمرا مفيدا وصالحا؛ وذلك لأن هذا المنتزه وهذا المكان يقصده الخلق الكثير من طبقات الناس كما تشاهدون؛ بل المدينة كلها؛ هذه المدينة يتوافد إليها خلق كثير من طبقات الأمم؛ كبير وصغير، وغني وفقير، وذكر وأشي، وقريب وبعيد؛ من داخل المملكة وخارجها. وهؤلاء الذين يتوافدون إلى هذه البلدة، ثم يأتون -أيضا- إلى هذه المنتزهات؛ لا شك أنهم مختلفون في طبقاتهم؛ فمنهم عالم وجاهل، ومنهم مطيع وعاص، ومنهم تقى ومنهم شقي، ومنهم مسلم ومنهم كافر. لا شك أنهم مختلفون في أحوالهم، ولكن إذا وجدوا من يوجههم؛ إذا وجدوا من يرشدهم ويهدمهم على الخير؛ فقد يتوجهون وقد يقبلون. الكثير منهم جهلة، ولكن بحاجة إلى من يبينهم؛ إلى من يدلهم على طريق العلم، فإذا دلهم عليه تراجعوا ورجعوا إلى الحق، وتابوا وأتابوا إلى الله سبحانه، وتعلموا ما ينفعهم؛ تعلموا من العلم ما يكون وسيلة لتقديهم وإرشادهم، ولتعليمهم ما يفيدهم. لا شك أنهم والحال هذه بحاجة إلى من يوجههم. فنقول: عليكم أيها الإخوة المتوافدون في هذا الأتركون هذه الفرصة تكون عليكم. فأنتم تشاهدون كثرة الذين في هذه المنتزهات، وهذه الاجتماعات؛ كثيرهم ما بين شباب متفرغ ليس عنده إلا مجرد الهواية للعب واللهو والمطالعة، وأخرون -أيضا- من الكهول والشيوخ ونحوهم؛ عندهم أوقات فراغ، وليس عندهم إلا أنهم يتجولون في هذه المنتزهات، وبذنبون من هنا ومن هنأ، وأما يهتمون بأمر دينهم، ولكن متى وجدوا من يوجههم ويرشدهم، فإنهم سينتفعون بذلك إن شاء الله تعالى. فالواجب أن نتجول على هذه الأماكن، وأطراف هذا المنتزه؛ نجد هؤلاء جلوسا ليس لهم حاجة إلا أنهم يتناجون بينهم، أو يتكلمون؛ لا ندري بماذا يتكلمون، نعرف أن عندهم وقت فراغ، فننصت لهم ونرشدهم، ونوجههم إلى الخير، وندلهم على هذا المكان الذي تلقى فيه نصائح ومواعظ وإرشادات؛ فلعلهم أن ينتبهوا لذلك. ونجد آخرين ليس لهم حاجة إلا المسير بين هذه الأشجار، وبين هذه المنتزهات وما أشبهها؛ ليس لهم حاجة إلا أنهم يتسكعون بين تلك الأماكن، فيقولون لهم: أيها الشباب، وأيها المسلمون؛ لا تضع عليكم أوقاتكم؛ فإنكم محاسنون عليها، ومستولون عن إصاعتكم، فأحرصوا كل الحرص على أن تستغلوا أوقاتكم في الشيء الذي يفيدكم. نذكرهم بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- { لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: وفي أي شيء عمل، وعن عمره فيما آتاه، وعن شيابه فيما آتاه، وعن عمله ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفق } تسأل أيها المسلم؛ تسأل عن عمرك في أي شيء شغلته؟ وفي أي شيء أمضيت؟ وتسال عن شبابك الذي هو ريعان عمرك، والذي هو مستقبل عمرك، تسأل في أي شيء أفنيت واستغلته؟ فتندم إذا أضعت ساعة أو يوما أو أسبوعا أو شهرا أو سنة؛ تندم وتقول: ليتني استغللت تلك الساعة في شيء يفيدني، فقد مضت علي وأنا لم أعمل فيها عملا يقربني إلى الله سبحانه وتعالى، وينفعني في ديني، وينفعني في دنياي، وينفعني في حياتي. الإنسان يدعو ربه أن يصلح له عمله. كان من الدعاء المشهور أن يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر؛ إذا تأمل الإنسان أن بدأ بإصلاح الدين، وذكر أنه عصمة الأمان يحرسه الله على أن يكون دينه صالحا، ليس فيه ما يخرمه، وليس فيه ما يفسده، وليس فيه ما يعتب به عليه، إذا كان صلح دينه، وصلحت أحواله استفاد أمره، وصلحت له دنياه وأخرته. لا شك أن الإنسان بحاجة إلى أمور دنياه التي هو بحاجة إلى أن يحيا فيها حياة سعيدة، ولكن الله تعالى قد ضمن له ذلك، قال الله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ تَصِيبٍ } فالذي يكون همه هذه الدنيا وزينتها، وشهواتها يخشى عليه أن تفوته الآخرة، والأعمال الصالحة التي يسعد بها في الآخرة. ورد في بعض المواضع، وفي بعض الآثار: ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أوج، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما. يعني: أنك إذا قدمت حظوظ الدنيا، وجعلتها أكبر همك، ومبلغ علمك، واشتغلت بها اشتغالا كلياً، وأقبلت عليها إقبالا تاماً؛ فإنه ولا بد ستشغل بها عن الدار الآخرة، وتفوتك الحسنات، وتفوتك الصلوات، ولا يحصل لك ما تريد؛ فإن الدار الآخرة، فيفوتك نصيبك من الآخرة؛ عملت بالأعمال الصالحة التي يبهى الله تعالى، وقدمت الحسنات، وطمعت ما تقدر عليه للدار الآخرة؛ فهيننا لك أن ريك سبحانه يسير لك اليسرى، ويعطيك ما تطلبه، ويرزقك من حيث لا تحسب. أتى بذلك. قال الله تعالى: { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ } لما أنهم هاجروا من بعد ما ظلموا في مكة وفي غيرها، وبعدهم الله تعالى بالحسنة في الدنيا، وصدق الله وعده: { لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ } . وكذلك في نفس السورة يقول الله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } الحياة الطيبة: هي حياة السعادة؛ حياة أهل الخير: { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } سواء طيبها من حيث الأعمال الصالحة، أو طيبها من حيث التوسعة؛ بأن يوسع الله تعالى عليه، ويرزقه، ويبسر له أسباب الرزق، ويأتيه ما كتب الله تعالى له. ويقول بعض السلف: من كانت الدنيا أكبر همه فراق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت به من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راحة؛ يعني: يسر الله تعالى له، ورزقه، ووقفه للعمل إصالح، ووقفه لأن يرزقه ما يسد حاجته، وبغية إذا أتى الله تعالى، ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } . أعود، فأقول: أتيت بهذا؛ لأن يستعمل هذه الأساليب أحدكم إذا أراد أن يدعو إلى الله تعالى لطبقات الناس، لأنكم ترون أن هاهنا طبقات مختلفة، تجدون -مثلا- العصاة الذين يعاندون؛ فيتركون الصلاة كما هو مشاهد. يصلي الناس عن يمينهم وعن شمالهم، ومع ذلك لا يهتمون بالصلاة، فلا تتكلم بل تعظمهم وتذكرهم، وتخبرهم بأن الأعمال الصالحة سبب في أن الله تعالى يفتح عليهم، ويرزقهم ويوفقهم. كذلك أيضا هناك جهلة الذين يعصون الله تعالى على جهل؛ يحتاجون إلى من يرشدهم ومن يعلمهم، وبين لهم أن ما فعلوه فإنه وبال عليهم، وأن الواجب عليهم أن يعرفوا ما هم بحاجة إليه؛ فإن حاجتهم إلى الأعمال الصالحة أقوى من حاجتهم إلى ملذاتهم وما أشبهها. كثير أيضا الذين يأتون من أملاكهم ويديرون أنهم يريدون أن يرفهوا عن أنفسهم، وأن هذه المنتزهات فيها تفرقة وفيها ترفية عن النفس، وفيها ترفه ونحو ذلك؛ هكذا يدعون، فتقدمهم يسرون بين تلك الأشجار، ويسرون بين تلك الملاعب، وترددون هاهنا وهاهنا، ولا تهتمهم أمور دينهم؛ فمثل هؤلاء -أيضا- يحتاجون إلى من ينصحهم، وإلى أن نبين لهم أنهم بحاجة إلى أوقاتهم، وأنهم بحاجة إلى أن يتعلموا، وأن لا يقبوا على هذا الجهل، ولا على هذا الإعراض، ونحذرهم من الإعراض الشديد الذي يكونون به متعددين عن عبادة الله سبحانه وتعالى، ومنشغلين؛ إما بما لا يفيدهم وإما بما يضرهم. وهكذا أيضا نرى كثيرا من في هؤلاء المنتزهات عليهم آثار المعاصي؛ أقل شيء أن بعضهم يتعاطون شرب الدخان، وكأنه عندهم عادة، أو كأنه قرينة وطاعة -والعباد الله- مع اعتراف الكثيرين بأنه ضرر، وبأنه آفة ابتلوا بها، ويدعون ذلك؛ فمثل هؤلاء أيضا إذا تجول أحدا ووصل إليهم نصيحتهم، وحذرهم مما هم واقعون فيه، وحذرهم من انتهاك هذه المحرمات، وفعل هذه المعاصي، ومن جعلها ما يضر ولا ينفع، كهذا الدخان. وكذلك تعاطي المخدرات والمسكرات وما أشبهها. لا شك أن هذا واقع وأنه كثير، وفيه آفة ابتلوا بها هؤلاء الشباب؛ حتى لا يفسدوا، وحتى لا يقعوا فيما لا تحمد عاقبته. فنقول: احتسب أيها المسلم الذي وفقك الله تعالى، وانتظمت في هذا المخيم، أو في هذه الدعوة وما أشبهها، وألق نصيحة ولو كلمة واحدة، أو كلمتين تنصح بها أخاك يحب الخير، ولكنه لا يبدله. يدعي أنه على خير؛ مع أنه قد يكون بعيدا عن الخير، وبعيدا عن الاستقامة؛ ولكن إذا أرشد ونصح نصيحة دينية تأثر بذلك إن شاء الله تعالى. نعرف أن كثيرا من في هذا المنتزه، وكذلك في هذا البلد يضيعون أوقاتهم في شيء لا يفيدهم، وربما يكون ضارا ضررا بنائا؛ فمثلا الذين نراهم جلوسا على الأرضية، أو في ظل هذه الأشجار؛ يتكلمون بما لا يفيدهم. ربما يكون كلامهم ضارا؛ سخرية، أو استهزاء، أو تهكما ببعض من يمر بهم، أو نحو ذلك. لا شك أن هؤلاء أضاعوا أوقاتهم ولم يسلموا؛ بل اكتسبوا في أوقاتهم سيئات كبيرة يأتون بها، فهم أحق بأن ننصحهم ونحذرهم. نعرف أيضا أن هناك آخرين يجدون في هذا المنتزه وكذلك في غيره يجدون ما قد يفسد أخلاقهم، ويفسد أعمالهم، وهو أنهم يقفون أمام المشاهات التي تستقبل الصور الفاتنة؛ تستقبل ما تبته القنوات الفضائية، وما أشبهها؛ مما يكون فتنة لكل مفتون، فتجد أنهم مقابلين لهذه الصور، وهذه الأفلام الخليعة يضيعون وقت ثمين، ويكتسبون سيئات؛ هذه بلا شك تزرع في قلوبهم الشرور، وتدفعهم إلى المنكر، وتؤثرهم إليه آراء، وتوقعهم في الفواحش ولا بد. غالبا ما يندفعون إلى اقتراء المحرمات، وفعل الفواحش والمنكرات من آثار هذه الصور الفاتنة وما أشبهها. لا شك أن هؤلاء أولى بأن تأتي إليهم، وأن ننصحهم، وأن نحذرهم، وأن نأخذ بأيديهم إلى ما ينجيهم، وندلهم على مثل هذه المخيمات التي يلقي فيها حي؛ محاضرات، ودروس، وتوعية، ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ فإن أكثرهم غافلون عن ذلك، أو كثير منهم يتحرقون هذا المخيم، ويحرقون القائمين عليه، ويرمونهم بأنهم -كما يقولون- أنهم رجعيون، وأنهم مترموذون وما أشبه ذلك. يقولون رجعيون لما تمسكوا بنص من الوحيين كان له الأثر فمثل هؤلاء لا يتركون أيضا. كذلك -أيضا- تجدون الكثير من الشباب الذين أمام تلك الملاعب يقضون وقتا طويلا في هذه الملاهي، فإن نقول لهم: أيها الملاهي ليحكم ونهركم، يقفون في هذه الملاهي، وهذه الملاهي طوال وقتكم. لا يتركم كذلك؛ بل يقولون لهم: إنكم وإن كنتم تريدون الترفية، وتريدون التزهة، فإن عليكم أن تزوها قلوبكم؛ أن تزوهاها، وأن ترفهوها عنها، وذلك بأن تسمعوها شيئا من الذكر، { أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ } وتسمع شيئا من المواضع والإرشادات، فاهل إلى هذا المكان الذي تلقى فيه هذه النصائح وهذه المواضع. فلنك -إن شاء الله- أجز على ما تذلونه، وعلى ما ترشدون به من يستقيم من هؤلاء الشباب؛ فليس كلهم معاندين؛ فكثير منهم يتصاعون إذا نصحوا. إذا سمعوا كلمة توجيهية فإن الله سبحانه وتعالى يهديهم، ويقبل بقلوبهم. بحسب المسلم نصيحتة لإخوانه ولأبناءه إخوانه المسلمين الذين يجمعهم وإياهم أخوة الدين، أخوة الإسلام، فإن الله تعالى ربط الإخوة بين المؤمنين، فإذا كنا إخوة كما قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } { قَابِضَتْكُمْ يَنْعِمَتِي إِخْوَاتًا } فإن من حق المسلم على أخيه: أن ينصحه له لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه } . فإذا كنت أحب لأولادك أن يكونوا مستقيمين؛ كذلك تحب لأولاد إخوانك المسلمين أن يكونوا على الاستقامة؛ أن يتعلموا القرآن، وأن يحفظوا منه ما تيسر، وأن يتعلموا السنة النبوية، وأن يحفظوا منها ما تيسر أيضا، وكذلك -أيضا- أن يتعلموا الأحكام الدينية، وأن يتعلموا التوحيد، وأن يتعلموا العقيدة الدينية؛ العقيدة الإسلامية، وكذلك أيضا يتعلمون ما يكونون به على الهدى. إذا عملوا عملوا على بصيرة وعلى نور وبرهان. إذا كانوا كذلك فإننا نحب لهم أن يتعلموا ذلك. وسائل التعليم موجودة والحمد لله، موجودة في هذه المخيم -مثلا- وإن كان مؤقتا، وموجودة أيضا في المساجد، في حلقات العلم، وكذلك حلقات التحفيظ، وكذلك حلقات العلماء الذين وقفوا أنفسهم على شيء من التعليم. لا شك أننا بحاجة إلى أن ننقذ أولاد إخواننا المسلمين من هذا السفة الذي يستمررون فيه فيكون سببا في قسوة قلوبهم، لا يشك أن هذا اللعب وهذا اللعب يسبب قسوة القلوب، ويسبب إغرائها عن الخير وبعدها عنه؛ فإن الإنسان كلما أعرض عن الخير قسا قلبه، قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخْشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَرَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ يَقُولُ بَعْضُ الصَّاحِبَةِ كَابِنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا لِي بِنَا سَنَةَ حَتَّى عَاتَبَنَا اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِهَذِهِ آيَةِ: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخْشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } ؛ يعني: أما أن لكم أيها المؤمنون أن تخشع قلوبكم وتخضع، وتتواضع لذكر الله تعالى؛ فإن ذكر الله تعالى يلين القلوب، ويزيل قسوتها، { أَنْ تُخْشِعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَرَى مِنَ الْحَقِّ } ؛ يعني: وما نزل من هذا القرآن الكريم، وأن يعملوا بذلك، { وَمَا تَرَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ } ؛ يعني: كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم بسبب إعراضهم عن هذا الحق. فنقول: إن هذا الله وهذه الملاهي، وهذه المفاسد، وهذه الألعاب تسبب الرين على القلوب، وتسبب قسوتها وإعراضها، وتسبب ثقل مجالس الخير ومجالس الذكر، إذا رأيت الذين ينفرون من مجالس الذكر فأولئك الذين قست قلوبهم؛ فإن المؤمن يلين قلبه إلى ذكر الله، كما في قول الله تعالى: { ثُمَّ لِيَلينَ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } وأما الذين إذا ذُكروا لا يذكرون فأولئك هم المفلحون، وأن ذكروهم بقول الله تعالى تحذيرا من بعض الصفات: { قَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ مَعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ مُسْتَشْفِرُونَ } . ذكروهم بمثل هذه الآيات وخوفهم، وبينوا لهم أن التذكير الذي نقصده في مثل هذه الأماكن يقصد به أن تلين قلوب أولاد المسلمين، وأن يعرفوا الحق وبالفوه وبحبه، وأن يتزودوا منه، وأن يستكثروا من الأعمال الصالحة، ولا يزكوا أنفسهم. إذا نصحن كثيرا منهم يقولون: نحن نلعب هذا اللعب، وإذا دعي إلى الصلاة صلينا؛ مع أن كثيرا منهم يقدمون اللعب على الصلاة. تجدون -أيضا- كثيرا في هذا المنتزه وغيره؛ تجدون كثيرا منهم جلوسا يلعبون بما يسمى بكرم، أو ما يسمى ببلوت، أو غيرها من الألعاب، ويرغمون أن ذلك تسلية، وأن ذلك ترفية عن النفس، وأنهم إذا كانوا دائما جادين في العلم وفي الذكر وما أشبه ذلك فإن نفوسهم تتأقل، وأنهم يملون، وهذا ليس صحيح، بذكر الله ترتاح القلوب ودياننا بذكرهه تطيب وتعرف أن أمتنا، وسلطاننا الصالح -رحمهم الله- كانوا يجتهدون في العلم، ويجتهدون في العمل به، ويجتهدون في الذكر، ويجدون لذلك لذة وراحة، حتى يقول بعض العلماء كأبي سليمان الداراني -رحمهم الله- يقول: أهل الليل في ليالهم أذل من أهل اللهوه في ليهوه. ويراد بأهل الليل: أهل السهر على الصلاة والعبادة والذكر وقراءة القرآن، هؤلاء أهل الليل؛ الذين ليالهم طاب بما هم فيه من الذكر ومن العبادة؛ هؤلاء أذل من أهل الملاهي الذين يبيتون طوال ليالهم على سماع غناء وطرب، أو رؤية صور فاتنة، أو ملذات دنيوية يدعونها، أو ما أشبه ذلك، فإنهم كما قال بعض السلف: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين؛ فإن ذل المعاصي لا يفارق قلوبهم.